

# منهج الحافظ ابن رجب في رسالته: الحكم الجديرة بالإذاعة من قول النبي ﷺ بعثت بالسيف بين يدي الساعة

عبد الله مولوي عبد الغفور\*

## Abstract

The Methodology of Ḥāfiẓ Ibn Rajab al-Ḥanbalī in His Treatise *al-Ḥikam al-Jadīrah bi 'l-Idhā'ah*

Abdullah Molvi Abdul Ghafoor\*

This article aims to examine the methodology of Ḥāfiẓ Ibn Rajab al-Ḥanbalī in his treatise *al-Ḥikam al-Jadīrah bi 'l-Idhā'ah*. Since the *ḥadīth* is the second important source of Islamic teachings and laws after the Qur'ān, Muslim scholars worked hard from the very beginning to memorize, understand, and preserve it. One of the prominent names among these scholars is of Ḥāfiẓ Ibn Rajab al-Ḥanbalī, who authored many books on this subject. The methodology of Ibn Rajab is unique in terms of his critical assessment of *ḥadīths* from the aspects of their text and chains. Therefore, this research work has focused on his methodology in the light of his famous treatise *al-Ḥikam al-Jadīrah bi 'l-Idhā'ah*.

## Keywords

\* أستاذ مساعد في قسم الحديث، بالجامعة الإسلامية بولاية مينيسوتا الأمريكية فرع مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية.

\* Assistant Professor, Department of Hadith, Islamic University of Minnesota, Mecca Campus, Kingdom of Saudi Arabia.

Ibn Rajab, critical study, methodology, ḥadīth, textual study.

### المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فإن شرف العلم بشرف المعلوم، ولما كان الحديث النبوي نسبته إلى الرسول الأُمِّي ﷺ كان الاشتغال به حفظاً وفقهاً وتدبراً، من أجل العلوم وأفضلها، فإنه علم الصدر الأول، والذي يعوّل عليه بعد القرآن، لقوله صلى الله عليه وسلم: "ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه"<sup>(١)</sup>.

ولفضل هذا العلم وشرفه اهتم به العلماء المتقدمون، وكان من المبرزين في هذا العلم الحافظ زين الدين ابن رجب الحنبلي، فكان رحمه الله علماً من أعلام الحديث والفقه، له منهجية في شروح الأحاديث ودراساتها فاق بها الأقران وحاز قصب السبق في ذلك، فقد سلك مسلكاً علمياً راقياً، وكانت رسائله جديرة بالعناية والاهتمام، فعمد الباحث لدراسة منهج ابن رجب الحنبلي في رسالته الحكم الجديرة بالإذاعة من قول النبي ﷺ: بعثت بالسيف بين يدي الساعة، وتوضيح طول باع الحافظ في علوم الشريعة، ولا سيما في علم الحديث رواية ودراية، فهذا هو صلب البحث وأصله. ومنهج الحافظ ابن رجب منهج فريد في عنايته بالحديث رواية ودراية، ممن خاض علم الحديث وأطال النفس فيه بمنهج العالم الرباني، فهو العالم المحدث الأصولي الفقيه الذي برع في صناعة الحديث وأجاد، فلازم على طلاب العلم تتبع منهج هذا العالم والعناية به.

### مشكلة البحث

دراسة واستنباط طريقة الحافظ ابن رجب الحنبلي ومنهجيته في فهم حديث رسول الله ﷺ من خلال رسالته: الحكم الجديرة بالإذاعة، والعلوم التي وظفها لخدمة هذه المنهجية.

١- أخرجه أبو داود في السنن، كتاب السنة، باب لزوم السنة، رقم الحديث: ٤٦٠٤، ص ٨٣١، صححه الشيخ الألباني ورواه بلفظ آخر ابن ماجه، السنن، كتاب العلم، باب تعظيم حديث رسول الله ﷺ والتغليظ على من عارضه، رقم الحديث: ١٢، ص ١٤.

## تساؤلات البحث

هل لابن رجب الحنبلي منهجية خاصة في علوم الحديث؟

هل سلك ابن رجب منهج المتقدمين من علماء السلف في رسالته؟

ما مكانة ابن رجب العلمية عند علماء السلف؟

التمهيد: وفيه ترجمة الحافظ ابن رجب الحنبلي رحمه الله، وفيه ثلاثة مطالب

المطلب الأول: اسمه ونسبه ونشأته

عبد الرحمن بن أحمد بن الحسن بن محمد بن أبي البركات مسعود البغدادي الدمشقي، الشيخ المحدث الحافظ زين الدين ابن رجب الحنبلي<sup>(٢)</sup>. ولد ببغداد في ربيع الأول سنة ٧٠٦هـ - ٧٣٦هـ<sup>(٣)</sup>، قدم دمشق مع والده وهو صغير سنة ٧٤٤هـ. واعتنى والده رحمه الله بسماعه الحديث فهو من عائلة علمية عريقة في العلم والإمامة والدين.

المطلب الثاني: حياته العلمية وآثاره

تعلم مبادئ القراءة في الكتاتيب كغيره من أبناء عصره ثم عكف على طلب العلم وأجهد نفسه في تحصيله، ورحل إليه مراراً وقرأ الفقه والحديث وسائر العلوم على علماء عصره. سمع بمصر من الميديمي<sup>(٤)</sup>، وبالقاهرة من ابن الملوك<sup>(٥)</sup>، وبدمشق من ابن الخباز<sup>(٦)</sup>، وجمع

٢- انظر: ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة (حيدرآباد: مجلس دائرة المعارف العثمانية) ج ٣ ص ١٠٨.

٣- انظر: ابن حجر العسقلاني، إنباء الغمر (مصر: لجنة إحياء التراث) ج ١ ص ٤٦٠.

٤- محمد بن محمد إبراهيم الميديمي الصوفي المصري، صدر الدين أبو الفتح، حدّث بالقاهرة، وطال عمره وانتفع به وخرجت له مشيخة، توفي ٧٥٤هـ، انظر: السبكي، معجم الشيوخ (دار الغرب الإسلامي، ٢٠٠٤م) ج ١ ص ٤٢٩.

٥- محمد بن إسماعيل بن عبد العزيز المعروف بابن الملوك، ناصر الدين، مسند القاهرة عند العز الحرائي وغيره، توفي ٧٥٦هـ، انظر: السيوطي، حسن المحاضرة (مصر: دار إحياء الكتب العربية، ١٣٧٨هـ) ج ١ ص ٣٩٦.

٦- محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن سالم الأنصاري، أبو عبد الله الدمشقي، شمس الدين أبو المحدث نجم الدين المعروف بابن الخباز، توفي ٧٥٦هـ، انظر: السبكي، معجم الشيوخ، ج ١ ص ٣٦٩، الفاسي، ويل التقييد، ت: كمال الحو (دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٠هـ) ط ١، ج ١، ص ٩٨.

جمّ ورافق شيخنا زين الدين العراقي<sup>(٧)</sup> في السماع كثيراً، ومهر في فنون الحديث أسما، ورجلاً وعلماً وطرقاً واطلاعاً على معانيه.

صنف شرح الترمذي فأجاد فيه في نحو عشرة أسفار، وشرح علل الترمذي، وقطعة كبيرة من البخاري والأربعين للنووي في مجلد، وعمل وظائف الأيام سماه (اللطائف) والطبقات الحنابلة ذيلاً على طبقات أبي يعلى وغيرهم وكان صاحب عبادة وتهجد. فهو على ذلك من أهل السنة والجماعة سلفي العقيدة على طريقة أهل الحديث، حنبلي المذهب.

المطلب الثالث: مكانته العلمية وثناء العلماء عليه

لقد حظي ابن رجب بمنزلة رفيعة بين علماء عصره حتى بين مخالفيه في المذهب وخصومه في العقيدة، قال ابن حجي<sup>(٨)</sup>: "أتقن الفن وصار أعرف أهل عصره بالعلل، وتتبع الطرق، وكان لا يخالط أحداً"<sup>(٩)</sup>.

قال ابن العماد<sup>(١٠)</sup>: "الشيخ الإمام العلامة الزاهد القدوة البركة الحافظ العمدة الثقة الحجة الحنبلي المذهب"<sup>(١١)</sup>.

وقال أيضاً: "وكانت مجالس تذكيره للقلوب صارعة، وللناس عامة مباركة نافعة، أجمعت

- 
- ٧- عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن، أبو الفضل، زين الدين، المعروف بالحافظ العراقي: بحاثة، من كبار حفاظ الحديث، وتوفي ٨٠٦هـ: انظر: خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الزركلي، الأعلام (دار العلم للملايين، ٢٠٠٢م) ط ٥، ج ٣ ص ٣٤٤.
- ٨- أحمد بن حجي بن موسى أحمد السعدي الحسيني، شهاب الدين، حافظ مؤرخ انتمت إليه المشيخة في بلاد الشام، توفي ٨١٦هـ، انظر: ابن العماد، شذرات الذهب (دار العلم للملايين) ج ٧ ص ١١٦.
- ٩- انظر: العسقلاني، إنباء الغمر، ج ١ ص ٤٦١.
- ١٠- عبد الحي بن أحمد بن محمد بن العماد العكري الحنبلي، أبو الفلاح، مؤرخ فقيه عالم بالأدب، توفي ١٠٨٩هـ، انظر: الزركلي، الأعلام، ج ٣ ص ٢٩٠.
- ١١- انظر: ابن العماد، شذرات الذهب، ج ٣ ص ٢٩٠، ج ٨ ص ٥٧٩.

الفرق عليه، ومالت القلوب بالمحبة إليه" (١٢).

#### المطلب الرابع: وفاته

توفي رحمه الله ليلة الاثنين رابع شهر رمضان سنة ٧٩٥ هـ (١٣). ويقال أنه جاء إلى شخص حفار فقال احفر لي هنا حداً، وأشار إلى بقعة، قال الحفار فحفرت له، فنزل فيه فأعجبه واضطجع، وقال: هذا جيد فمات بعد أيام فدفن فيه (١٤).

المبحث الأول: منهج الحافظ ابن رجب في رسالته الحكم الجديرة بالإذاعة، وفيه مطالب

المطلب الأول: تعريف المنهج لغة واصطلاحاً

أولاً: تعريف المنهج لغة

المنهج الطريق الواضح، والجمع نهج ونهاج وهو المنهج والجمع مناهج (١٥).

وقال الليث "طريق نهج وطرق نهجة وقد نهج الأمر وأنهج لفتان: إذا وضح ومنهج

الطريق وضح والمنهاج: الطريق الواضح" (١٦).

ويقال: لقد أضاء لك الطريق، وأنهجت سُبُل المسالك.

وانتهجت الطريق إذ بيته وأوضحته (١٧).

وقال تعالى: ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ (١٨)

وأنهج الطريق: وضح (١٩).

١٢- المصدر السابق.

١٣- انظر: العسقلاني، الدرر الكامنة، ج ٣ ص ١٠٨.

١٤- انظر: العسقلاني، إنباء الغمر، ج ١ ص ٤٦٠.

١٥- انظر: ابن دريد، جهرة اللغة (دار العلم، ١٩٨٧ م) ج ١ ص ٤٩٨.

١٦- انظر: الأزهرى، تهذيب اللغة (دار إحياء التراث العربى، ٢٠٠١ م) ج ٦ ص ٤١.

١٧- انظر: الجوهري، الصحاح تاج اللغة (بيروت: دار العلم، ١٤٠٧ هـ) ج ١ ص ٣٤٦.

١٨- سورة المائدة، الآية: ٤٨.

أنشد يعقوب:

ولقد أضاء لك الطريق وأتمجت \*\*\* سُبُل المكارم والهَدَى بَعْدِي<sup>(٢٠)</sup>.

ثانياً: المنهج اصطلاحاً

لقد أورد له العلماء تعريفات اصطلاحية وكلها تعود على المعنى اللغوي، ومتقاربة في المضمون ومنها: "الطريق المؤدي إلى الكشف عن الحقيقة في العلوم بواسطة طائفة من القواعد العامة حتى يصل إلى نتيجة معلومة".

ومنها: "الطريق الواضحة التي سلكها الدارسون في دراستهم".

ومنها: "التنظيم الصحيح لسلسلة من الأفكار العديدة إما من أجل الكشف عن حقيقة مجهولة لدينا أو البرهنة على حقيقة لا يعرفها الآخرون".

فكل هذه التعريفات تعد متقاربة في الأهداف والمعارف. لكن نورد تعريفاً مقترحاً بأنه:

"هو مجموعة القواعد والوسائل التي يقوم بها الباحث على دراسة موضوعه وتحليل مادته العلمية والوصول إلى دلائل ونتائج واضحة ومعرفة جديدة".

المطلب الثاني: بيان منهج ابن رجب في رسالته الحكم الجديرة بالإذاعة

الفرع الأول: عنايته بالصنعة الحديثية

إن ابن رجب رحمه الله كان أحد العلماء المبرزين في علم الحديث رواية ودراسة، ولعلنا من

خلال السطور القادمة يتبين لنا قدر هذا العالم، فهو:

١- لا يترك لفظةً في الحديث حتى يبيّن المراد منها، ومن ذلك على سبيل المثال شرحه لقوله

صلى الله عليه وسلم: "بين يدي الساعة"؛ يعني أمامها، ومرادُه أنه بعث قدام الساعة قريباً

١٩- انظر: ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢١هـ) ج ٤ ص ٧١.

٢٠- انظر: المصدر السابق، ج ٢ ص ٨٧، وابن منظور، لسان العرب (بيروت: دار صادر، ١٤١٤هـ) ج ٢ ص ٣٨٣ مادة

نهج، والزبيدي، تاج العروس (دار الهداية) ج ٦ ص ٢٥٢.

منها<sup>(٢١)</sup>.

ومثال آخر يؤكد أنه كان يهتم ببيان ما قد يشكل فهمه على سمع القارئ كقوله: "وهو يتناول قوله صلى الله عليه وسلم: "بعثت أنا والساعة كهاتين" وخرَّج الإمام أحمد من حديث بريدة: "بعثت أنا والساعة جميعاً إن كادت لتسبقني"، وللمزمذني: "بعثت في نفس الساعة فسبقتها كما سبقت هذه هذه - لإصبعيه السبابة والوسطى - ليس بينهما إصبع أخرى" والصحيح أنه يدل من ذلك على القرب من الساعة. وكان قتادة يشير إلى أن المراد بينه وبين الساعة كمقدار فضل السبابة على الوسطى، وقد قيل: إن بينهما من الفضل مقدار نصف سبع<sup>(٢٢)</sup>.

٢- يهتم بالحكم على الحديث، وتخريج الأحاديث التي يستشهد بها، وعزوها إلى مصادرها غالباً.

نلاحظ أن ابن رجب رحمه الله كان يهتم كثيراً بالحكم على الأحاديث والآثار التي يستشهد بها، ومن ذلك قوله: "وصحَّ عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: "بعثت أنا والساعة كهاتين وأشار بإصبعيه؛ السبابة والوسطى" خرجاه في الصحيحين. وخرَّج الإمام أحمد من حديث بريدة: "بعثت أنا والساعة جميعاً إن كادت لتسبقني". وللمزمذني: "بعثت في نفس الساعة فسبقتها كما سبقت هذه هذه - لإصبعيه السبابة والوسطى - ليس بينهما إصبع أخرى"<sup>(٢٣)</sup>.

وكذلك قوله: "وفي الصحيح عن عائشة قالت: قلت، يا رسول الله، هل مرَّ عليك يوم أشد من يوم أحد؟ فقال: لقد لقيت من قومك ما لقيت منهم يوم العقبة؛ إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال، فلم يجبني إلى ما أردت، فانطلقت وأنا مهمومٌ على وجهي، فلم أفق إلا وأنا

٢١- انظر: زين الدين عبد الرحمن بن أحمد ابن رجب، الحكم الجديرة بالإذاعة من قول النبي صلى الله عليه وسلم بعثت

بالسيف بين يدي الساعة (دمشق: دار المأمون، ١٩٩٠م) ص ٩.

٢٢- انظر: ابن رجب، الحكم الجديرة، ص ١١.

٢٣- المصدر السابق، ص ١٠ و ١١.

بقرن الثعالب، فرفعت رأسي فإذا أنا بسحابةٍ قد أظلّنتني، فنظرتُ فإذا فيها جبريل فناداني فقال: إن الله قد سمع قول قومك لك، وما ردُّوا عليك، وقد بعث الله إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم، قال: فناداني ملك الجبال فسلم عليّ، ثم قال: إن الله قد سمع قول قومك وأنا ملك الجبال، وقد بعثني ربك إليك لتأمرني بأمرك وما شئت، إن شئت أن أطبق الأخشيين عليهم، فقال له الرسول صلى الله عليه وسلم: "بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئاً" (٢٤). وكذلك قوله: "وفي الحديث الذي خرّجه أبو داود وغيره: "إذا تبايعتم بالعينة واتبعتم أذئاب البقر، وتركتم الجهاد؛ سلط الله عليكم ذلاً لا ينزعه الله من رقابكم حتى تراجعوا دينكم" (٢٥).

مثال آخر يؤكّد ما ذكرناه حين يقول: "ومن اشتغل بطاعة الله فقد تكفّل الله برزقه، كما في حديث زيد بن ثابت المرفوع: "من كانت الدنيا همه؛ فرّق الله عليه أمره وجعل فقره بين عينيه، ولم يأت من الدنيا إلا ما كتب له، ومن كانت الآخرة نيته؛ جمع الله له أمره، وجعل غناه في قلبه، وأتته الدنيا وهي راغمة". خرّجه الإمام أحمد وابن ماجه.

وخرّجه الترمذي من حديث أنس مرفوعاً: "إن الله يقول: يا ابن آدم تفرغ لعبادتي أملأ صدرك غنى، وأسد فقرك، وإلا تفعل ملأت يديك شغلاً، ولم أسد فقرك". وخرّج ابن ماجه من حديث ابن مسعود مرفوعاً: "من جعل الهموم همّاً واحداً هم آخرته كفاه الله هم دنياه، ومن تشعبت به الهموم في أحوال الدنيا لم يبال الله في أي أوديتها هلك" (٢٦).

٣- بيان ما يؤخذ من الحديث من نكتٍ جديرة بالتأمل

كان هذا الأمر من أبرز ما تميّز به ابن رجب رحمه الله، وهذا يدل على علو مكانته في العلم

٢٤- انظر: ابن رجب، الحكم الجديرة بالإذاعة، ص ٢٠.

٢٥- انظر: المصدر السابق، ص ٢٧.

٢٦- انظر: المصدر السابق، ص ٢٩ و ٣٠.



وبروز فضله، ومن أبرز الأمثلة على ذلك قوله: "وقد قيل: إن بينهما من الفضل مقدار نصف سبع، وأخذ من هذا أن بقاء أمته ألف سنة، وهو سبع الدنيا. وقد رجَّح ذلك ابن الجوزي<sup>(٢٧)</sup> والسهيلي<sup>(٢٨)</sup> وقال: إن لم يصح فيه الحديث المرفوع فقد صح عن ابن عباس وغيره، وهو عند أهل الكتاب كذلك"<sup>(٢٩)</sup>.

ومثال آخر يؤكد اهتمام ابن رجب ببيان وإظهار النكت الواردة في الحديث كقوله: وهو يتناول شرح قوله صلى الله عليه وسلم: "وجعل رزقي تحت ظل رمحي" حيث قال: "إشارة إلى أن الله لم يبعثه بالسعي في طلب الدنيا، ولا بجمعها واكتنازها، ولا الاجتهاد في السعي في أسبابها، وإنما بعثه داعياً إلى توحيده بالسيف، ومن لازم ذلك أن يقتل أعداءه الممتنعين عن قبول التوحيد، ويستبيح دماءهم وأموالهم، ويسبي نساءهم وذرائعهم، فيكون رزقه مما أفاء الله من أموال أعدائه، فإن المال إنما خلقه الله لبني آدم ليستعينوا به على طاعته وعبادته، فمن استعان به على الكفر بالله والشرك به سلط الله عليه رسوله وأتباعه فانتزعوه منه، وأعادوه إلى من هو أولى به من أهل عبادة الله وتوحيده وطاعته؛ ولهذا يسمّى الفيء لرجوعه إلى من كان أحق به ولأجله خُلِقَ"<sup>(٣٠)</sup>.

ومثال آخر: قوله وهو يتناول الحديث السابق: "وإنما ذكر الرمح ولم يذكر السيف؛ لثلاثا يقال: إنه صلى الله عليه وسلم يرتزق من مال الغنيمة، إنما كان يرزق مما أفاءه الله عليه من خير"<sup>(٣١)</sup>.

- 
- ٢٧- عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي القرشي البغدادي، أبو الفرج: علامة عصره في التاريخ والحديث، كثير التصانيف. مولده ووفاته ببغداد سنة: ٥٩٧ هـ. انظر: الزركلي، الأعلام، ج ٣ ص ٣١٦.
- ٢٨- عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد الخثعمي السهيلي: حافظ، عالم باللغة والسير، ضريير، ولد في مالقة، وعمي وعمره ١٧ سنة ونبغ، فاتصل خبره بصاحب مراكش فطلبه إليها وأكرمه، فأقام يصنف كتبه إلى أن توفي بها سنة ٥٨١ هـ. انظر: الزركلي، الأعلام، ج ٣، ص ٣١٣.
- ٢٩- انظر: ابن رجب، الحكم الجديدة بالإذاعة، ص ١١.
- ٣٠- انظر: المصدر السابق، ص ٢٣ و ٢٤.
- ٣١- انظر: نفس المصدر، ص ٢٦.

ومثالٌ آخر: قوله: "ولهذا كره الصحابة رضي الله عنهم الدخول في أرض الخراج للزراعة فإنها تشغل عن الجهاد"<sup>(٣٢)</sup> تعقيباً على قوله صلى الله عليه وسلم: "إذا تبايعتم بالعينة واتبعتم أذنان البقر، وتركتم الجهاد؛ سلَّط الله عليكم ذلاً لا ينزعه الله من رقابكم حتى تراجعوا دينكم".

ومثالٌ آخر: قوله: "وقد صحَّح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد، فأمر الله ورسوله بالردِّ على من خالف أمر الله ورسوله، والرد على من خالف أمر الله ورسوله لا يتلقَّى إلا عمَّن عَرَفَ ما جاء به الرسول وخبره خبرة تامة. قال بعض الأئمة: لا يُؤخذ العلم إلا عمَّن عَرَفَ بالطلب"<sup>(٣٣)</sup>.

٤ - يذكر روايات الحديث، وكذا الآثار

كان هذا مما تميَّز به ابن رجب رحمه الله كان كثيراً ما يذكر الروايات المتعددة للأحاديث التي يستشهد بها؛ ليؤكد من خلالها على رأيه ومذهبه، ومما يدلُّ على ذلك:

قوله: "قال صلى الله عليه وسلم: لقد أخفت في الله وما يخاف أحدٌ، ولقد أوذيت في الله وما أوذى أحدٌ، ولقد أتت عليَّ ثلاثون - من بين يوم وليلة - ومالي طعام يأكله ذو كبدٍ إلا شيء يواريه إبط بلال.

وفي روايةٍ عنه صلى الله عليه وسلم قال: "ما أوذى أحدٌ في الله ما أوذيت"<sup>(٣٤)</sup>.

مثالٌ آخر يؤكد هذا المعنى قول ابن رجب: "وجاء في حديث مرسل أنه صلى الله عليه

وسلم قال: "أنا رسول الرحمة، وأنا رسول الملحمة، إن الله بعثني بالجهاد ولم يبعثني بالزرع".

وخرَّج البغوي<sup>(٣٥)</sup> في معجمه حديثاً مرسلًا: "إن الله بعثني بالهدى ودين الحق ولم يجعلني

٣٢ - انظر: نفس المصدر، ص ٢٧.

٣٣ - انظر: نفس المصدر، ص ٣٨ و ٣٩.

٣٤ - انظر: نفس المصدر، ص ١٨.

٣٥ - الحسين بن مسعود بن محمد، الفراء أو ابن الفراء، أبو محمد، ويلقب بمحبي السنة، البغوي، فقيه، محدث، مفسر. نسبته إلى (بغاً) من قرى خراسان، بين هراة ومرو، توفي بمرو الروذ سنة: ٥١٠ هـ. انظر: الزركلي، الأعلام، ج ٢ ص ٢٥٩.

زراعًا ولا تاجرًا، ولا سَحَابًا بالأسواق، وجعل رزقي تحت ظل رحمي" (٣٦).

ثم أخذ ابن رجب يدلل على ما ذهب إليه ببعض الآثار، ومن ذلك قوله: "وقال مكحول<sup>(٣٧)</sup>: إن المسلمين لما قدموا الشام ذكر لهم زرع الحولة، فزرعوا فبلغ ذلك عمر بن الخطاب رضي الله عنه فبعث إلى زرعهم وقد ابْيَضَّ وأردك فحرَّقه بالنار، ثم كتب إليهم: إن الله جعل أرزاق هذه الأمة في أسنِّه رماحها، وتحت أزجتها، فإذا زرعوا كانوا كالناس. خرجه أسد بن موسى. وروى البيضاوي<sup>(٣٨)</sup> بإسناد له عن عمر إنه كتب: من زرع زرعًا، واتبع أذناب البقر ورضي بذلك وأقر به جعلت عليه الجزية" (٣٩).

٥- يستشهد بالأحاديث على قضية معينة

وهذا أمرٌ يدلُّ على مكانة ابن رجب وتمكنه من سنة الرسول صلى الله عليه وسلم، ومن الأمثلة الدالة على ذلك قوله: "وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يحث أهله وأصحابه على التمسك بالطاعة، ويقول: "اشتروا أنفسكم من الله، لا أغني عنكم من الله شيئاً".

وقال لأهله: "إن أوليائي منكم المتقون يوم القيامة، لا يأتي الناس بالأعمال وتأتون بالدنيا تحملونها على رقابكم فتقولون: يا محمد. فأقول: قد بلغت"، ولمَّا سأله ربيعة الأسلمي مرافقته في

٣٦- ابن رجب، الحكم الجديدة بالإذاعة، ص ٢٥.

٣٧- مكحول بن أبي مُسْلِم شهراب بن شاذل، أبو عبد الله، الهذلي بالولاء، فقيه الشام في عصره، من حفاظ الحديث. أصله من فارس، ومولده بكابل. ترعرع بها وسي، وصار مولى لامرأة بمصر من هذيل، فنسب إليها. وأعتق وتفقه، ورحل في طلب الحديث إلى العراق، فالمدينة، وطاف كثيرا من البلدان، واستقر في دمشق. وتوفي بها سنة: ١١٢ هـ. انظر: الزركلي، الأعلام، ج ٧ ص ٢٨٤.

٣٨- عبد الله بن عمر بن محمد بن علي الشيرازي، أبو سعيد، أو أبو الخير، ناصر الدين البيضاوي: قاض، مفسر، علامة. ولد في المدينة البيضاء (بفارس قرب شيراز) وولي قضاء شيراز مدة، وصرف عن القضاء، فرحل إلى تبريز فتوفي فيها سنة: ٦٨٥ هـ. انظر: الزركلي، الأعلام، ج ٤ ص ١١٠ و ١١١.

٣٩- ابن رجب، الحكم الجديدة بالإذاعة، ص ٢٧ و ٢٨.

الجنة قال: "فأعني على نفسك بكثرة السجود"<sup>(٤٠)</sup>.

ومن خلال ما سبق نستطيع التأكيد على:

- ١- كثرة اعتناء ابن رجب بتخريج واستقصاء طرق أحاديث الباب.
  - ٢- شدة اهتمام ابن رجب بقضايا علوم الحديث أثناء الشرح، حيث يجد الإنسان نفسه متنقلاً مع ابن رجب في المباحث الحديثية المتنوعة، تارةً في مسائل الجرح والتعديل، وتارةً في مسائل العلل الجليلة والدقيقة، وتارةً في مسائل التصحيح والتضعيف، وهو في كل ذلكم يحرر النقول والردود والمناقشات العلمية النافعة حتى في نهاية المطاف يجد الطالب بين يديه بحثاً حديثاً مستقلاً حول حديث الباب.
  - ٣- مسلك ابن رجب في دراسة الحديث مسلك أئمة المتقدمين، ومعوله الكلي على أقوال أئمة الشأن الأولى، وهم عمدته في الحكم على السند والمتن.
- ولذا استحق ابن رجب ذلك الوصف الذي وصفه به ابن حجر بقوله: "مهر في فنون الحديث أسماء ورجالاً وعللاً وطرقاً واطلاعاً على معانيه، وكان صاحب عبادة وتهجد"<sup>(٤١)</sup>.

#### الفرع الثاني: عنايته بالجانب العقدي

إن ابن رجب رحمه الله امتاز بأنه سار على غرار سلف الأمة في تقرير مسائل العقيدة، ولا يقرر إلا ما هو صحيح الاعتقاد كسائر علماء عصره فكان موسوعياً، وكان مما يهتمُّ به كثيراً بيان الجوانب العقدية أثناء شرحه للحديث النبوي، وهذا أمرٌ يمكننا الوقوف عليه في رسالته محل بحثنا "الحكم الجديرة بالإذاعة"، حيث يبرز لنا حكم مخالفة الرسول صلى الله عليه وسلم فيقول: "ومخالفة الرسول على قسمين:

أحدهما: مخالفة من لا يعتقد طاعة أمره كمخالفة الكفار، وأهل الكتاب الذين لا يرون

٤٠- انظر: المصدر السابق، ص ٤٥.

٤١- ابن حجر، إنباء الغمر بأبناء العمر، ج ١ ص ٤٦٠.

طاعة الرسول؛ فهم تحت الذلة والصغار؛ ولهذا أمر الله بقتال أهل الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون، وعلى اليهود الذلة والمسكنة؛ لأن كفرهم بالرسول كفر عناد.

والثاني: من اعتقد طاعته ثم يخالف أمره بالمعاصي التي يعتقد أنها معصية؛ فله نصيبٌ من الذلة والصغار، وقال الحسن<sup>(٤٢)</sup>: إنهم وإن طقطقت بهم البغال، وهملجت بهم البراذين فإن ذل المعصية في رقابهم، أبقى الله أن يذل إلا من عصاه.

كان الإمام أحمد<sup>(٤٣)</sup> يدعو: اللهم أعزنا بالطاعة ولا تذلنا بالمعصية.

فأهل هذا النوع خالفوا الرسول من أجل داعي الشهوات.

والنوع الثاني: من خالف أمره من أجل الشبهات وهم أهل الأهواء والبدع، فكلهم لهم نصيبٌ من الذلة والصغار بحسب مخالفتهم لأوامره، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْوَعْدَ سَيِّئَاتِهِمْ عَصَابٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ﴾<sup>(٤٤)</sup>.

وأهل الأهواء والبدع كلهم مفترون على الله، وبدعتهم تتغلظ بحسب كثرة افتراءهم عليه، وقد جعل الله من حرم ما أحله الله وحل ما حرمه الله مفترياً عليه الكذب، فمن قال على الله ما لا يعلم فقد افتري عليه الكذب، ومن نسب إليه ما لا يجوز نسبه إليه من تمثيل أو تعطيل، أو كذب بأقداره فقد افتري على الله الكذب.

وقد قال الله عز وجل: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ

- 
- ٤٢ - الحسن بن يسار البصري، أبو سعيد: تابعي، كان إمام أهل البصرة، وحرر الأمة في زمنه، وهو أحد العلماء الفقهاء الفصحاء الشجعان النساك. ولد بالمدينة، وشبَّ في كنف علي بن أبي طالب، واستكتبه الربيع بن زياد والي خراسان في عهد معاوية، وسكن البصرة وتوفي بها سنة: ١١٠ هـ. الزركلي، الأعلام، ج ٢ ص ٢٢٦ و ٢٢٧.
- ٤٣ - أحمد محمد بن حنبل، أبو عبد الله، الشيباني الوائلي: إمام المذهب الحنبلي، وأحد الأئمة الأربعة. أصله من مرو، وكان أبوه والي سرخس. وولد ببغداد، وتوفي سنة: ٢٤١ هـ. انظر: الزركلي، الأعلام، ج ١ ص ٢٠٣.
- ٤٤ - سورة الأعراف، الآية: ١٥٢.

عَذَابُ أَلِيمٌ ﴿٤٥﴾.

فلهذا تغلظت عقوبة المبتدع على عقوبة العاصي؛ لأن المبتدع مفتر على الله مخالف لأمر رسوله لأجل هواه.

فأما مخالفة بعض أوامر الرسول صلى الله عليه وسلم خطأ من غير عمد، مع الاجتهاد على متابعته، فهذا يقع كثيرًا من أعيان الأمة من علمائها وصلحائها، ولا إثم فيه؛ بل صاحبه إذا اجتهد فله أجر على اجتهاده، وخطأه موضوعٌ عنه "﴿٤٦﴾".

فأنت تلحظ من كلام ابن رجب رحمه الله كيف فضّل هذه القضية وأبان عن وجه الحق فيها، وهذا مما يؤكد علو منزلته في العلم.

مثال آخر يتبيّن من خلاله دقته رحمه الله في تناول القضايا العقديّة، حين تكلم عن حب وبغض أصحاب المعاصي، فقال: "فهنا أمران: أحدهما: أن من خالف أمر الرسول في شيء خطأ مع اجتهاده في طاعته ومتابعة أوامره؛ فإنه مغفورٌ له لا ينقص درجته بذلك.

والثاني: أنه لا يمنعنا تعظيمه ومحبته من تبين مخالفة قوله لأمر الرسول صلى الله عليه وسلم، ونصيحة الأمة بتبيين أمر الرسول صلى الله عليه وسلم.

ونفس ذلك الرجل المحبوب المعظم لو علم أن قوله مخالفٌ لأمر الرسول فإنه يجب من يبين للأمة ذلك ويرشدهم إلى أمر الرسول، ويردهم عن قوله في نفسه، وهذه النكتة تخفى على كثيرٍ من الجهّال لأسباب.

وظنهم أن الرد على معظّم من عالمٍ وصالح تنقص به، وليس كذلك، وبسبب الغفلة عن ذلك تبدّل دين أهل الكتاب فإنهم اتبعوا زلّات علمائهم، وأعرضوا عمّا جاءت به أنبياءهم، حتى تبدّل دينهم واتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابًا من دون الله، فأحلّوا لهم الحرام وحرّموا عليهم الحلال

٤٥ - سورة النور، الآية: ٦٣.

٤٦ - انظر: ابن رجب، الحكم الجديرة بالإذاعة، ص ٣١ وما بعدها.

فأطاعوهم، فكانت تلك عبادتهم إياهم.

فكان كلما كان فيهم رئيس كبير معظّم مطاع عند الملوك قُبِلَ منه كل ما قال، وتَحْمَلُ الملوك الناسَ على قوله، وليس فيهم من يرد قوله، ولا يبيّن مخالفته للدين. وهذه الأمة عصمها الله عن الاجتماع على ضلالة، فلا بدّ أن يكون فيها من يبيّن أمر الله ورسوله، ولو اجتهدت الملوك على جمع الأمة على خلافه لم يتم لهم أمرهم.

كما جرى مع المأمون والمعتصم والوائق، حيث اجتهدوا على إظهار القول بخلق القرآن وقتلوا الناس وضربوهم وحبسوهم على ذلك، وأجابهم العلماء تقيّة وخوفًا، فأقام الله إمام المسلمين في وقتهم أحمد بن حنبل، فردّ باطلهم حتى اضمحلّ أمرهم، وصار الحق هو الظاهر في جميع بلاد الإسلام والسنة، ولم يكن الإمام أحمد يجابى أحدًا في مخالفة شيء من أمر الرسول وإن دقّ، ولو عظم مخالفة في نفوس الخلق" (٤٧).

#### بيان حكم التشبه بالكافرين

هذه قضية أخرى أبان ابن رجب رحمه الله فيها وجه الحق، حيث قال: "فالتشبه بالمشركين والمغضوب عليهم والضالين من أهل الكتاب منهيٌّ عنه، ولا بدّ من وقوعه في هذه الأمة، كما أخبر به الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم حيث قال: لتبعن سنن من قبلكم شبرًا بشبر، وذراعًا بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه" قالوا يا رسول الله: اليهود والنصارى؟ قال: "فمن؟".

قال ابن عيينة (٤٨): كان يقال من فسد من علمائنا ففيه شبه من اليهود، ومن فسد من عبادنا ففيه شبه من النصارى.

٤٧- انظر: ابن رجب، الحكم الجديرة بالإذاعة، ص ٣٦ و ٣٧.

٤٨- سفيان بن عيينة بن ميمون الهلالي الكوفي، أبو محمد، محدّث الحرم المكيّ، من الموالى. ولد بالكوفة، وسكن مكة وتوفي بها سنة: ١٩٨ هـ. انظر: الزركلي، الأعلام، ج ٣، ص ١٠٥.

ووجه هذا أن الله ذم علماء اليهود بأكل السحت، وأكل الأموال بالباطل والصدء عن سبيل الله، وبقتل النبيين بغير حق، وبقتل الذين يأمرون بالقسط من الناس، وبالتكبر عن الحق، وتركه عمداً خوفاً من زوال المآكل والرياسات، وبالخسد وبقسوة القلب، وبكتمان الحق، وتليبس الحق بالباطل، وكل هذه الخصال توجد في علماء السوء من أهل البدع ونحوهم؛ ولهذا تشبهت الرافضة باليهود في نحو من سبعين خصلة.

وأما النصارى فذمهم الله بالجهل والضلالة، وباللغو في الدين بغير الحق، ورفع المخلوق إلى درجة لا يستحقها، حتى يدعى فيه الإلهية، واتباع الكبراء في التحليل والتحريم" (٤٩).

ويضيف ابن رجب هذه القضية بياناً فيقول حين يتحدث عن قوله صلى الله عليه وسلم: "ومن تشبه بقوم فهو منهم": هذا يدل على أمرين:

أحدهما: التشبه بأهل الشر مثل أهل الكفر والفسوق والعصيان، وقد وبَّخ الله من تشبه بهم في شيء من قبائحهم، فقال تعالى: ﴿فَأَسْتَمِعْتُمْ مَخْلَقَكُمْ كَمَا أَسْتَمِعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ مَخْلَقَهُمْ وَخَضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا﴾ (٥٠).

وقد نبى النبي صلى الله عليه وسلم عن التشبه بالمشركين وأهل الكتاب، فنهى عن الصلاة عند طلوع الشمس وعند غروبها، وعلل بأنه: "حينئذ يسجد لها الكفار"، فيصير السجود في ذلك الوقت تشبهاً في الصورة الظاهرة، وقال صلى الله عليه وسلم: "إن اليهود والنصارى لا يصبغون فخالقوهم"، وفي رواية عنه صلى الله عليه وسلم: "غيروا الشيب ولا تشبهوا اليهود".

وقال صلى الله عليه وسلم: "خالقوا المشركين، أعفوا الشوارب واحفوا اللحى"، وفي رواية: "جزوا الشوارب وأرخوا اللحى، خالفوا المجوس"، وأمر النبي صلى الله عليه وسلم بالصلاة في النعال مخالفة لأهل الكتاب.

٤٩ - انظر: ابن رجب، المصدر السابق، ص ٤٣ و ٤٤.

٥٠ - سورة التوبة، الآية: ٦٩.



وروي عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: "ليس منا من تشبّه بغيرنا، لا تشبهوا باليهود والنصارى، فإن تسليم اليهود الإشارة بالكف" خرّجه الترمذي.  
ونهى عن التشبه بهم في أعيادهم وقال عبد الله بن عمر: "من أقام بأرض المشركين يصنع نيروزهم ومهرجانهم وتشبّه بهم حتى يموت حشر يوم القيامة معهم".  
وقال الإمام أحمد: أكره حلق القفا، وهو من فعل المجوس، ومن تشبّه بهم فهو منهم" (٥١).  
فقد استطاع ابن رجب أن يبيّن الحقّ في هذه القضية بجلاء.

### حكم طلب الدعاء من الغير والتبرك بآثار الصالحين

هذه أيضًا قضية تعرّض ابن رجب لبيانها، حيث يقول: "وقد كان عمر وغيره من الصحابة والتابعين رضي الله عنهم يكرهون أن يُطلب الدعاء منهم ويقولون: "أأنبياء نحن؟" فدلّ على أن هذه المنزلة لا تنبغي إلا للأنبياء عليهم السلام، وكذلك التبرك بالآثار فإنها كان يفعلها الصحابة رضي الله عنهم مع النبي صلى الله عليه وسلم ولم يكونوا يفعلونه مع بعضهم ببعض ولا يفعلها التابعون مع الصحابة، مع علو قدرهم.  
فدلّ على أن هذا لا يفعل إلا مع النبي صلى الله عليه وسلم مثل التبرك بوضوئه وفضلاته وشعره وشرب فضل شرابه وطعامه.  
وفي الجملة فهذه الأشياء فتنة للمعظم وللمعظم؛ لما يخشى عليه من الغلو المدخل في البدعة، وربما يترقى إلى نوع من الشرك.  
وقد كان السلف الصالح ينهون عن تعظيمهم غاية النهي كالثوري وأحمد، وكان أحمد يقول: من أنا حتى تحيئون إليّ؟ اذهبوا اكتبوا الحديث، وكان إذا سُئل عن شيء، يقول: سلوا العلماء.  
وإذا سُئل عن شيء من الورع يقول: أنا، لا يحل لي أن أتكلم في الورع، لو كان بشر حيًّا تكلم في هذا.

وسُئِلَ مرة عن الإخلاص فقال: اذهب إلى الزهَّاد، أي شيء نحن تحييء إلينا؟ وجاء إليه رجل فمسح يده ثيابه ومسح بهما وجهه، فغضب الإمام أحمد وأنكر ذلك أشد الإنكار وقال: عمَّن أخذتم هذا الأمر؟" (٥٢).

فهذا النقل يتبيَّن من خلاله كيف أن ابن رجب جَلَّى وجه الحق في هاتين القضيتين الشائكتين في لفظٍ موجزٍ وأدلةٍ دامغةٍ.

### الفرع الثالث: عنايته بالفقه وأصوله

إن ابن رجب رحمه الله كانت له دراية باهرة بالفقه وأصوله، ولديه قدرة باهرة على استنباط الأحكام الشرعية من مظانها، والاستدلال بالأدلة على رأيه، والانتصار لما يراه راجحاً، ومن أظهر الأمثلة على ذلك حين تحدَّث عن حكم قتال المخالفين، حيث قَسَمهم إلى أقسام، وبيَّن من يحل لنا قتاله منهم، ومن يحل لنا أمواهم إلى غير ذلك، حيث يقول: "قال ابن عيينة: أُرْسِلَ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأربعة سيوف: سيف على المشركين من العرب حتى يسلموا، وسيف على المشركين من غيرهم حتى يسلموا أو يسترقوا أو يقادوا بهم، وسيف على أهل القبلة من أهل البغي.

وفيا ذكر نزاع بين العلماء؛ فإنَّ منهم من يبيِّز المفاداة والاسترقاق في العرب وغيرهم، وكذلك يبيِّز أخذ الجزية بين الكفَّار جميعهم.

والذي يظهر أنَّ في القرآن أربعة سيوف: سيف على المشركين حتى يسلموا أو يؤسروا، فإما منَّا بعد وإما فداء.

وسيف على المنافقين وهو سيف الزنادقة، وقد أمر الله بجهادهم والإغلاظ عليهم في سورة براءة وسورة التحريم وآخر سورة الأحزاب.

وسيف على أهل الكتاب حتى يعطوا الجزية.

وسيف على أهل البغي، وهو المذكور في سورة الحجرات.

٥٢- انظر: ابن رجب، الحكم الجديرة بالإذاعة، ص ٤٦ و ٤٧.

ولم يسأل صلى الله عليه وسلم هذا السيف في حياته، وإنما سلّه عليٌّ رضي الله عنه في خلافته، وكان يقول: "أنا الذي علّمت الناس قتال أهل القبلة".

وله صلى الله عليه وسلم سيوف أخرى، منها: سيفه على أهل الردة وهو الذي قال فيه: "من بدّل دينه فاقتلوه"، وقد سلّه أبو بكر الصديق رضي الله عنه من بعده في خلافته على من ارتدّ من قبائل العرب.

ومنها سيفه على المارقين، وهم أهل البدع كالخوارج، وقد ثبت عنه الأمر بقتالهم مع اختلاف العلماء في كفرهم، وقد قاتلهم عليٌّ رضي الله عنه في خلافته مع قوله: إنهم ليسوا بكفار. وقد روي عن عليٍّ رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر بقتال المارقين والناكثين والقاسطين.

وقد حرّق عليٌّ طائفة من الزنادقة، فصوّب ابن عباس قتلهم، وأنكر تحريقهم بالنار. فقال عليٌّ: ويح ابن عباس، لبحّاث عن الهنات" (٥٣).

فأنت ترى من خلال هذا النموذج كيف استطاع ابن رجب أن يستقصي المسألة من أولها؛ ليقف بذلك على ما يراه راجحاً.

مثال آخر يؤكد قدرته على استعمال القياس؛ ليصل من خلاله إلى الحكم الشرعي: حين تحدّث عن مال الفيء بيّن من يستحق الأخذ منه ومن لا يستحق، فقال: "فأكمل حالات المؤمن أن يكون اشتغاله بطاعة الله والجهاد في سبيله، والدعوة إلى طاعته لا يطلب بذلك الدنيا، ويأخذ من مال الفيء قدر الكفاية، كما كان النبي صلى الله عليه وسلم يأخذ لأهله قوت سنة من مال الفيء ثم يقسم باقية، وربما رأى محتاجاً بعد ذلك فيقسم عليه قوت أهله بلا شيء.

وكذلك من يشتغل بالعلم؛ لأنه أحد نوعي الجهاد فيكون اشتغاله بالعلم للجهاد في سبيل الله والدعوة إليه، فليأخذ من أموال الفيء أو الوقوف على العلم قدر الكفاية ليتقوى على جهاده،

٥٣- انظر: ابن رجب، الحكم الجديرة بالإذاعة، ص ٧ وما بعدها.

ولا ينبغي أن يأخذ أكثر من كفايته من ذلك.

وقد نصَّ أحمد على أن مال بيت المال كالخراج لا يؤخذ منه أكثر من الكفاية، فمال الوقف أضيق<sup>(٥٤)</sup>.

فلعلك وقفت من خلال هذا النقل على فائدةٍ أخرى، وهي تتعلق بالمذهب الذي يتقلده ابن رجب وهو مذهب الإمام أحمد.

كان -رحمه الله- في فروع المسائل الفقهية على مذهب الإمام أحمد وأصحابه من الحنابلة، فيتبع أصول مذهب أحمد إتباع حق لا هوى وتشبه.

#### الفرع الرابع: الاهتمام بأخبار الأمم السابقة

من خلال القراءة لرسالة ابن رجب -رحمه الله- يظهر لنا بجلاء أنه كان على درايةٍ كبيرةٍ بأخبار الأمم السابقة، ومما يؤكدُ هذا المعنى نقله عن بعض كتب أهل الكتاب والوقوف على مصادرهم، حيث يقول: "وفي الكتب السالفة وُصف النبي صلى الله عليه وسلم بأنه يبعث بقضيب الأدب، وهو السيف.

ووصَّى بعض أخبار اليهود عند موته باتباعه وقال: إنه يسفك الدماء، ويسبي الذراري والنساء، فلا يمنعهم ذلك منه.

وروي أن المسيح عليه السلام قال لبني إسرائيل في وصف النبي صلى الله عليه وسلم: "إنه يسل السيف فيدخلون في دينه طوعاً وكرهاً"<sup>(٥٥)</sup>.

فهذا النقل يتأكد من خلاله عمق معرفة ابن رجب رحمه الله بأخبار الأمم السابقة.

مثالٌ آخر: يُظهر عمق اطلاعه على أخبار السابقين، ومعرفة تاريخهم مع أنبيائهم حيث يقول: "فكان أول رسولٍ بعث إلى أهل الأرض يدعوهم إلى التوحيد وينهاهم عن الشرك نوح عليه

٥٤ - انظر: ابن رجب، الحكم الجديرة بالإذاعة، ص ٥.

٥٥ - انظر: المصدر السابق، ص ٢٨.

السلام، فإنَّ الشرك قد فشا في الأرض من بني آدم قبل نوحٍ فلبث في قومه ألف سنةٍ إلا خمسين عاماً يدعوهم إلى الله وإلى عبادته وحده لا شريك له، كما ذكر سبحانه في سورة نوح عنه أنه قال لقومه: ﴿أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُوا أَمْرَهُ﴾ (٥٦)، وأخبر في موضعٍ آخر عنه أنه قال لهم: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ (٥٧) فما استجاب له إلا قليل منهم وأكثرهم أصروا على الشرك ﴿وَقَالُوا لَا نَدْرَأُ الْهَتْمَ وَلَا نُدْرَأُ وَدَاً وَلَا سِوَاَهَا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾ (٥٨)، فلما أصروا على كفرهم أغرقهم الله ونجَّ نوح ومن آمن معه ﴿وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ (٥٩).

ثم إن الله تعالى بعث إبراهيم خليله عليه السلام فدعا إلى توحيد الله وعبادته وحده لا شريك له، وناظر على ذلك أحسن مناظرة، وأبطل شبه المشركين بالبراهين الواضحة، وكسَّر أصنام قومه حتى جعلهم جذاذاً فأرادوا تحريقه فأنجاه الله من النار وجعلها عليه برداً وسلاماً، ووهب الله له إسماعيل وإسحاق، فجعل عامة الأنبياء من ذرية إسحاق، فإن إسرائيل هو يعقوب بن إسحاق، وأنبياء بني إسرائيل كلهم من ذرية يعقوب، كيوسف وموسى وداود وسليمان عليهم السلام.

وآخرهم المسيح بن مريم عليه السلام: ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي

وَرَبِّكُمْ﴾ (٦٠).

ثم طبق الشرك الأرض بعد المسيح، فإن قومه الذين ادَّعوا اتباعه بالإيمان به أشركوا غاية الشرك فجعلوا المسيح هو الله أو ابن الله، وجعلوا أمه ثالث ثلاثة.

وأما اليهود فإنهم وإن تبرأوا من الشرك، فالشرك فيهم موجود، فإنه كان فيهم من عبد

٥٦ - سورة نوح، الآية: ٣.

٥٧ - سورة الأعراف، الآية: ٥٩.

٥٨ - سورة نوح، الآية: ٢٣.

٥٩ - سورة هود، الآية: ٤٠.

٦٠ - سورة المائدة، الآية: ١١٧.

العجل في حياة موسى عليه السلام وقال فيه: إنه الله، وإن موسى نسي ربه وذهب يطلبه، ولا شرك أعظم من هذا.

وطائفة قالوا: العزيز ابن الله، وهذا من أعظم الشرك، وأكثرهم اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله، فأحلُّوا لهم الحرام، وحرَّموا عليهم الحلال فأطاعوهم، فكانت تلك عبادتهم إياهم؛ لأن من أطاع مخلوقاً في معصية الخالق واعتقد جواز طاعته أو وجوبها فقد أشرك بهذا الاعتبار، حيث جعل التحليل والتحريم لغير الله.

وأما المجوس فشرَّكهم ظاهر، فإنهم يقولون بإلهين قديمين:

(أحدهما): نور.

(والآخر): ظلمة.

فالنور خالق الخير، والظلمة خالق الشر، وكانوا يعبدون النيران.

وأما العرب والهند وغيرهم من الأمم فكانوا أظهر الناس شركاً يعبدون الله، وآلهة كثيرة ويزعمون أنها تقرب إلى الله زلفى" (٦١).

فهذا النص يوقفك بوضوح على قدره، ومدى معرفته بأخبار السابقين من الأمم.

#### الفرع الخامس: الاهتمام بالقرآن الكريم

إن من أبرز أدوات منهج ابن رجب رحمه الله كثرة الاستشهاد بالآيات القرآنية، والأمثلة في ذلك كثيرة جداً، ومن ذلك لما أخذ يقرر الحكم الشرعي على من لم يستجيبوا لدعوة الله تعالى ولم يؤمنوا برسول الله صلى الله عليه وسلم، فذكر من ذلك قوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مِنْ بَصْرِهِ، وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ (٦٢).

٦١ - انظر: ابن رجب، الحكم الجديرة بالإذاعة، ص ١٣ وما بعدها.

٦٢ - سورة الحديد، الآية: ٢٥.

وكذلك استشهاده بالكثير من الآيات حين تحدّث عن الأمر بالقتال، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿فَإِذَا أَسْلَخَ الْأَشْهُرَ الْحُرْمَ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَأَحْضُرُوهُمْ وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصِدٍ﴾ (٦٣)، وقوله تعالى: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا انْخَضُوا عَنْ أَسْفَلِ السُّيُوفِ فَمِمَّا مَاتَ بَعْدُ وَمِمَّا قُتِلَ﴾ (٦٤)؛ ولهذا عوتبوا على أخذ الفداء منهم أول قتال قاتلوه يوم بدر، ونزل قوله تعالى: ﴿مَا كَانَتْ لِنَبِيِّ أَنْ يُكُونَ لَهُ أُسْرَى حَتَّى يُتَخَذَ فِي الْأَرْضِ تَرْبُوتٌ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (٦٥)، وكانوا قد أشاروا على النبي صلى الله عليه وسلم بأخذ الفداء من الأسارى وإطلاقهم.

وكذلك استشهاده بالكثير من الآيات القرآنية للتدليل على وجوب الإيثار بالله وحده، حيث قال: "هذا هو المقصود الأعظم من بعثته صلى الله عليه وسلم بل من بعثة الرسل من قبله" (٦٦)، ثم أخذ يدل على هذا بكثير من الآيات القرآنية، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ (٦٧)، وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ (٦٨) ثم أخذ يستطرد في ذكر الآيات القرآنية.

ومن ذلك أيضًا أمر النبي صلى الله عليه وسلم بالصبر في مواجهة الأذى الذي كان يلقاه، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ

٦٣ - سورة التوبة، الآية: ٥.

٦٤ - سورة محمد، الآية: ٤.

٦٥ - سورة الأنفال، الآية: ٦٧.

٦٦ - انظر: ابن رجب، الحكم الجديرة بالإذاعة، ص ١٢.

٦٧ - سورة الأنبياء، الآية: ٢٥.

٦٨ - سورة النحل، الآية: ٣٦.

وَأَدْبَرَ النُّجُومَ ﴿٦٩﴾، وقوله تعالى: ﴿وَسَبَّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ﴾ ﴿٧٠﴾،  
 وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعَلْنَاكَ صِدْرَكَ بِمَا يَقُولُونَ فَسَبَّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ وَأَعْبُدْ رَبَّكَ  
 حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ ﴿٧١﴾.

والخلاصة في هذا أن رسالة ابن رجب مليئة بالاستشهاد بالآيات القرآنية.

#### الفرع السادس: الاهتمام بالسيرة النبوية

لقد كان لابن رجب رحمه الله عناية خاصة بسيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فدائماً يذكر من حوادث السيرة النبوية المباركة ما يخدم فكرته، ومن ذلك قوله: "وإنما أمر النبي صلى الله عليه وسلم بالسيف بعد الهجرة لما صار له دار وأتباع وقوة ومنعة، وقد كان يتهدد أعداءه بالسيف قبل الهجرة، وكان صلى الله عليه وسلم يطوف بالبيت وأشرف قريش قد اجتمعوا بالحجر وقالوا: ما رأينا مثل ما صبرنا عليه من هذا الرجل، قد سفّه أحلامنا، وشم آباءنا، وعاب ديننا، وفرّق جماعتنا، وسبّ آهتنا لقد صبرنا منه على أمر عظيم، فلما مرّ بهم النبي صلى الله عليه وسلم غمزوه ببعض القول، فعرف ذلك في وجهه صلى الله عليه وسلم، وفعلوا ذلك به ثلاث مرات، فوقف وقال: "أتسمعون يا معشر قريش؟ أما والذي نفس محمد بيده، لقد جئتكم بالذبح".

فأخذت القوم كلمته حتى ما فيهم رجل إلا وكأنها على رأسه طير واقع، وحتى أن أشدهم عليه قبل ذلك ليلقاه بأحسن ما يجد من القول، حتى إنه ليقول: انصرف يا أبا القاسم راشداً، فوالله ما كنت مجهولاً.

وقال محمد بن كعب: بلغ النبي صلى الله عليه وسلم أن أبا جهل يقول: إن محمداً يزعم أنكم ما بايعتموه عشتم ملوكاً فإذا متم بعثتم بعد موتكم، وكانت لكم جنان خير من جنان الأردن،

٦٩ - سورة الطور، الآية: ٤٨، ٤٩.

٧٠ - سورة ق، الآية: ٣٩.

٧١ - سورة الحجر، الآية: ٩٧-٩٩.



وأنكم إن خالفتموه كان لكم منه الذبح، ثم بعثتم بعد موتكم وكانت لكم نار تعذبون فيها، فبلغ النبي صلى الله عليه وسلم قوله، فقال: وأنا أقول ذلك إن لهم مني لذبحًا، وإنه لآخذهم" (٧٢).

مثال آخر: حين تحدّث عن أسماء النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: "ومن أسائه صلى الله عليه وسلم الحاشر، والعاقب كما صحَّ عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: "أنا محمد وأحمد، والمحي، الذي يمحو الله بي الكفر، والحاشر الذي يحشر الناس على قدمي، والعاقب الذي ليس بعدي نبي" (٧٣).

والحق في هذا أن ابن رجب قد أفاد رسالته كثيرًا حين استشهد بكثيرٍ جدًا من وقائع السيرة النبوية، ولعلَّ فيما ذكرنا دلالة واضحة على هذا.

المبحث الثاني: بيان قيمة جهود الحافظ ابن رجب في علوم الحديث رواية ودراية، وفيه مطلبان  
المطلب الأول: جهود الحافظ ابن رجب في علوم الحديث رواية

ونعني بالرواية العلم بأقوال النبي صلى الله عليه وسلم وأفعاله وتقريراته، وروايتها وضبطها، وتحرير ألفاظها، كل ذلك بالإسناد، فعلم الحديث رواية يشمل حفظ المتون، والأسانيد (٧٤).

ولقد كان لعلم الحديث رواية مكانة كبيرة حتى دونت الكتب المشهورة، فأصبح الناس يعتمدون على كتب السنة، ولكن هذا لم يبلغ علم الرواية إذ بقيت الكتب نفسها تروى بالأسانيد إلى أصحابها، وتحرر ألفاظها بواسطة الرواية، يضاف إلى ذلك أن قسما من طرق الحديث بقي خارج الكتب المدونة، وظل يروى مشافهة أو في أجزاء غير مشهورة شهرة الكتاب المعتمدة، ويضاف إلى كل هذا أن الإسناد خصيصة الأمة الإسلامية فحافظ العلماء عليه، وفيه دلالات حاسمة على اللقاء

٧٢- انظر: ابن رجب، الحكم الجديرة بالإذاعة، ص ٥ وما بعدها.

٧٣- انظر: المصدر السابق، ص ١٠.

٧٤- انظر: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، تدريب الراوي (دار طيبة) ج ١، ص ٢٥.

والسمع والتلمذة والرحلة وما شابه ذلك.

ولابن رجب رواياته وأسانيده، وروايات ابن رجب هذه مدونة في كتابه الذيل على طبقات الحنابلة، وغالبا ما يذكر ترجمة الشيخ ثم يذكر حديثا أو أكثر، يصله ابن رجب بإسناده إلى الرجل صاحب الترجمة.

وهذه الروايات تمتاز بعلو الإسناد بالنسبة للعصر والأقران، فالحافظ زين الدين العراقي<sup>(٧٥)</sup> أشهر أقران ابن رجب، وهو إمام مشهود له في إمامته وعلمه وقد ولد قبل ابن رجب بعشر سنين، ولكن أعلى شيخ عنده هو محمد بن محمد بن إبراهيم الميديمي<sup>(٧٦)</sup> (٦٦٤ - ٧٥٤هـ)، والميديمي شيخ ابن رجب كذلك، ولكن ابن رجب روى عن طبقة متقدمة كزينب بنت أحمد بن عبد الرحيم المقدسية<sup>(٧٧)</sup> (٦٤٦ - ٧٤٠هـ) وعلي بن عبد العزيز البغدادي<sup>(٧٨)</sup> (٦٠٦ - ٧٤٢هـ) فيكون ابن رجب بذلك أعلى إسناداً<sup>(٧٩)</sup>.

#### المطلب الثاني: جهود الحافظ ابن رجب في علوم الحديث دراية

ونعني بالدراية: "معرفة حقيقة الرواية وشروطها، وأنواعها، وأحكامها، وحال الرواة وشروطهم وأصناف المرويات، وما يتعلق بها". فكل ما عدا نقل الحديث بسنده وامتته يدخل في الدراية: كالجرح والتعديل، والجمع بين المتعارض والشرح والبيان والاستنباط<sup>(٨٠)</sup>.

ولابن رجب جهوده الجليلة في هذا الجانب، وقد طوت يد الحدثان الكثير من مصنفات

٧٥- سبق الترجمة له.

٧٦- سبق الترجمة له.

٧٧- زينب بنت أحمد بن عبد الرحيم المقدسية المعروفة ببنت الكيال، شبيخة عالمة بالحديث، وتوفيت ٧٤٠هـ، انظر: الزركلي، الأعلام، ج ٣ ص ٦٥.

٧٨- علي بن عبد العزيز بن المرزبان البغوي، أبو الحسن، شيخ الحرم، من حفاظ الحديث، كان ثقة مأمونا، جاور بمكة، وتوفي ٧٤٢هـ، انظر: الزركلي، الأعلام، ج ٤ ص ٣٠٠.

٧٩- انظر: ابن رجب، شرح علل الترمذي (أردن: مكتبة المنار، ١٤٠٧هـ) ج ١ ص ٢٧١.

٨٠- انظر: السيوطي، تدريب الراوي، ج ١ ص ٢٦.

هذا الرجل، وما بقي من آثاره شاهد على فهم دقيق، وقدره على الاستقصاء والبحث ومن جانب الدراية عنده هذه الرسائل الحديثية التي تشرح كل واحدة منها حديثاً أو أكثر كالرسالة التي بين أيدينا و تتناولها بالبحث وهي رسالة ابن رجب الحنبلي الحكم الجديرة بالإذاعة وفيها شرح ابن رجب حديث ابن عمر - رضي الله عنهما - عن النبي صلى الله عليه وسلم: "بعثت بالسيف بين يدي الساعة، حتى يعبد الله وحده لا شريك له، وجعل رزقي تحت ظل رمحي، وجعل الذلّة والصغار على من خالف أمري، ومن تشبه بقوم فهو منهم" (٨١).

وهذه المجموعة من الرسائل تشرح كل واحدة منها حديثاً واحداً ومنها ما يطول فيصل إلى قريب المائة صفحة، ومنها ما يقصر فلا يتجاوز عشر ورقات.

#### الخاتمة

وختاماً لهذه الدراسة حول "الحكم الجديرة بالإذاعة" فإنني أفف لأسجل أهم النتائج والفوائد التي توصلت إليها:

- ١- أوقفني هذه الدراسة على أحد الأئمة الأعلام الذي كان لهم في الحديث باع طويل وفي علم العلل خاصة، وترك الآثار الشاهدة على سعة علمه، وقد رأينا منها شرح الترمذي، وشرح البخاري المسمى بفتح الباري، وكتب ورسائل أخرى لا يتسع المقام لذكرها.
- ٢- طول باع المؤلف في علوم الشريعة لا سيما ما يتعلق منها بعلم الحديث رواية ودراية.
- ٣- مهارة ابن رجب في فنون الحديث أسماء ورجالاً وعللاً وطرقاً واطلاعاً على معانيه، وإتقانه للصنعة الحديثية وقد بدا ذلك واضحاً في رسالة الحكم الجديرة بالإذاعة.
- ٤- مسلك ابن رجب في دراسة الحديث مسلك أئمة المتقدمين، ومعوله الكلي على أقوال أئمة

---

٨١- أخرجه أبو داود، كتاب السنة، باب لزوم السنة، رقم الحديث: ٤٦٠٤، ص ٨٣١، صححه الشيخ الألباني ورواه بلفظ آخر ابن ماجه، سنن ابن ماجه، كتاب العلم، باب تعظيم حديث رسول الله ﷺ والتغليظ على من عارضه، ج ٢ ص ١٤.

الشأن الأولى، وهم عمدته في الحكم على السند والمتن

٥- امتاز ابن رجب أنه سار على غرار سلف الأمة في تقرير مسائل العقيدة، ولا يقرر إلا ما هو

صحيح الاعتقاد-

٦- جميع مصنفات الحافظ فريدة في أبوابها ومباركة؛ لاعتدال آرائه وإنصافه للحق ونزاهة

منهجه رحمه الله تعالى.

## List of References

1. kḥaīru al-dīn bin maḥmūd al-zarkalī, **al-'ā'lām** (dāru al-'ilm lilmalāīn, 2002 AD)
2. Abdur Rahman al-suīwuṭī, **tadrību al-rāwī** (dār ṭaībaṭ)
3. abdur Rahman bin ahmad bin rajab, **al-ḥikam al-jadīrat bālīdā'at** (damishq: dāru al-ma'amūn, 1990m)
4. al-'āzharī, **tahdību al-lughat** (dār ihīā'u al-turāth al-gharbī, 2001AD )
5. al-fāsī, **wāīlu al-taqūd**, (baīrūt, dār al-kutub al-'ilmīat, 1410 AH )
6. al-jaūharī, **al-ṣiḥāḥ tāju al-ulghat** ( baīrūt: dāru al-'ilm, 1407h.)
7. al-subkī, **mu'jamu al-shuūkh** (dāru al-gharb al-īslāmī, 2004 AD)
8. al-zubaīdī, **tāju al-'uruwus** (dāru al-hidāīat)
9. **ḥusnu al-muḥāḍarat** (Egypt: dār ihīā'u al-kutub al-'arabīat, 1378 AH.)
10. ibn rajab, **Sharḥi 'ilala al-tirmidī** (Jordan: maktabaṭu al-manār, 1407h)
11. ibne al-'imād, **shadarātu al-dahab** (dāru al-'ilm lilmalāīn)
12. ibne duraīd, **jamharṭu al-lughat** (dāru al-'ilm, 1987 AD)
13. ibne ḥajar al-'asqalānī, **al-durar al-kāminat** (ḥāīdar abād: majlis dā'irṭu al-ma'ārif al-'uṭhmānīat)
14. ibne ḥajar al-'asqalānī, **ānbā'u al-ghamar** (Egypt: lajnaṭu ihīā'a al-turāth)
15. ibne manzūr, **lisānu al-'arab** ( baīrūt: dār ṣādir, 1414 AH  
ibne saīdah, **al-muḥkam wālmuḥīṭ al-'ā'zam** (baīrūt: dāru al-kutub al-'ilmīat, 1421 AH)